آراء وافكار

—«»—

مطالعات ومراجعات

— في اللغة والأدب والتشريع والتاريخ —

قرأت في ص٣٨ من مجلد هذه السنة من مجلة المجمع « وكانوا يقولون في الفرس السابق يلحق الغزال ، يسبق الظلام ... » أذكر انني كنت قرأت مثل هذه العبارة في رسالة الانتقاد لابن شرف القيرواني التي نشرت في جملة رسائل البلغاء وانه ورد فيها «الظليم» مكان «الظلام» وهو الصواب لان الظليم هو المعروف والموصوف عند العرب بسرعة الجري ولا مفهوم لسبق الفرس الظلام[1] . جاء في حديث احدى الجواري الخمس اللائي نعتن خيل آبائهن ورواه القالي في اماليه قول احداهن : « ان أقبل فظبيٌ معتاج وان أدبر فظليم هدّاج ، وان أحضر فعلج هرّاج ... » قال أستاذنا الامام الألوسي عليه رحمة الله في بلوغ الأرب معلقاً عليه : « معناه انه سريع الجري في كل حال من الأحوال الثلاثة ، فهو كالظبي المسرع اذا أقبل ، وكالظليم اذا أدبر ، وكحمار الوحش اذا أحضر ... والظليم ولد النعام وهو يوصف بسرعة المشي الخ » . وأحسب ان في تفسيره الظليم بولد النعام تحريفاً صوابه ذكر النعام ، والنعام مشهور بالخفة وشدة الحذر وسرعة الجري عند العرب . ومن مأثور اقوالهم « ركب جنح نعامة » يضربونه مثلاً لمن جدّ في امر كانهزام اوغيره . قال يزيد بن قنافة من شعراء حماسة ابي تمام :

لعمريَ وما عمريَ عليّ بهين ... لبئس الفتى المدعوّ بالليل حاتمُ
غداةَ اتى كالثور أحرج فانتى ... بجبهته أفتاله وهو قائمُ
كأن بصحراء المُرَيْط نعامةٌ ... تبادرها جنحَ الظلام نعائمُ

(١) «المجمع» وللظلام وجه وجيه بدليل قول النابغة :

وانك كالليل الذي هو مدركي ... وان خلت ان المنتأى عنك واسع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أعارتك رجليها ومالي لبها وقد جُرّدت بيض المتون صوارمُ

وقال احدهم يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

جزى الله خيراً من امام وبارك بد الله في ذاك الأديم الممزّق

فمن يسعَ او يركب جناحي نعامة ليدرك ما قدمت بالامس يسبق

وفي ص ٤٠ رأيت الكاتب وهو في سبيل البحث عن حياة الألفاظ ، يتسامح في استعمال مالا حاجة بنا اليه من اللفظ الدخيل . فقد وجد في (الاكاديمية) لذة فرددها ثلاث مرات في بضعة اسطر متقاربات ، وفي (المجمع) الذي ساغته الالسنة وسالت به الأقلام ودرج عليه الاصطلاح غنى عن (الاكاديمية) فلِمَ تُلتمس الاكاديمية ولنحي المجمع . وارجو ان لا يأسف الكاتب العربي على ذلك أسف الكاتب الفرنسي صاحب مقالة الطان على كلمة (Midinettes) التي اطرحتها (الاكاديمية الفرنسية) فانه انما أسف لانها استغنت عما لا غنى للغة الفرنسية عنه ، وليس شأننا ازاء (الاكاديمية) كذلك .

واستعمل كلمة (الاوبرا) الدخيلة التي زعم من زعم انها عربية الاصل منقولة عن ابي العبر ، ماجن خليع ، نقلها الايطاليون عن العرب ايام احتكاك العنصرين بعضهما ببعض فحرفوها الى اوبرا ، واننا جهلنا ذلك فحسبناها دخيلة وهي اصيلة .

لا أريد ان أُناقش هذا النوع من الضرب بالرمل او الطرق بالحصى وانما أريد ان أعذر مستعملها على كونها دخيلة في رأيي ورأي الاكثرية المطلقة من الباحثين حتى نقيم مقامها كلمة مفردة من العربي الاصيل تؤدي المعنى الفرنجي احسن اداء فان البقاء على الاوبرا افضل من قبول العبرة التي يزعم اصالتها الوهم ولا يؤيده النص ولا المعنى الغني الدقيق لهذه اللفظة في لغة القوم ، فما رأي الاكياس الألبّاء ؟

وفي ص ٥٣ ورد (حسن البزار) بالزاي والراء وانما هو البزّاز نسبةً الى البز ، وقد نظمه الكاتب في حلقة كاظم الأزري والأخرس والعشاري والحبوبي من فحول شعراء العراق في القرن الماضي وليس بذاك . ونظم معهم ايضاً اسم السيد حسن الداوودي ولست أعرفه بل لم أسمع باسمه الا من طريقه فهل له ان يتفضل علينا بترجمته ؟

ووصف احد اعضاء المجمع نادرة دواوين اللغة «المقاييس» ٦٥ — ٧١ ، وقد وصفه قبله كاتب نجفي منتكر في المجلد الثاني من مجلة لغة العرب لسنة ١٣٣٠ هـ ولكنه لم يذكر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسم مالك النسخة ، وأرجح انها نسخة آل كاشف الغطاء التي أشير اليها ولعل واضع مالكها . وقد قال في جملة كلامه (طولها ٣٦ سنتيمتراً وعرضها ١٩ وطول المكتوب منها ٢٥ وعرضه ١٤ وفي كل صفحة ٢١ سطراً . وعدد اوراقها ٤٩٧ . وقد خرقتها الأرضة ولكن لم تؤثر في نفس الكتابة كثيراً والظاهر ان في حبرها شيئاً لا تستطيع الارضة اكله وهي كثيرة الغلط لا ينتفع بها الا من مارس هذا الفن واخذ باطرافه . وكاتبها لم يذكر تاريخ الفراغ من نسخها الا ان المتدبر العارف بتاريخ الخط العربي يحكم بانها كتبت بعد الألف وهي بخط واحد ...) ومهما يكن من امر هذه النسخة فان مقابلة نسخة المجمع العلمي العربي بها اذا تيسرت لا تخلو من فائدة ...

وفي ص ٧٤ (الخلفاء اللامعين) ولعل الكاتب الفرنسي أراد — بحسب الظاهر — (الخلفاء الأمويين) فحرفتها الترجمة ، والا فما هو معنى الخلفاء اللامعين . فهل اراد الخلفاء الراشدين فوصفهم باللمعان لحسن سيرتهم ؟ وعلى كل فان في التعبير غموضاً يحتاج الى ايضاح .

وفي ص ٨١ (ورّاقوا بغداد) وزيادة الالف بعد واو الجماعة في الاسم المضاف خطأ .

وفي ١٣٠ (الشيخ محمد محمود الذكري) والصواب التركي .

وفي ١٣٨ و ١٤٠ استعمال فعل وفق متعدياً بالى تارة وباللام أخرى ، ومال الكتاب اليوم الى الاول اكثر بل قل من رأيته يعديه باللام ، والذي اعلمه ان الثاني هو الصحيح وان قيل ان حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض . اني لأطأطئ الرأس لعلم الفقيد الاكبر صديقنا احمد تيمور باشا ولكنني مستفهم مستفيد . وقد رأيته كذلك يستعمل فعل راق متعدياً باللام (ص ١٤٣ و ١٤٤) وهو انما يتعدى بنفسه ، اما تأول اقحام اللام فتمحل لا يعدو ان يكون من الخرفشة التي نعت بها ابن خلدون النحاة ، وقد اغنانا العلامة الامير شكيب أرسلان فيما كتبه في ابطال زيادة هذه اللام هنا عن تفصيل القول فليرجع اليه من شاء في مجلة المجمع العلمي م ٩ ص ٦٨ .

وقرظ احد الاعضاء كتاب المخارج في الحيل المنسوب للامام محمد والذي نشره المستشرق الالماني يوسف شخت (Joseph Schacht) (ص ١٨٠ — ١٨٣) فكان جد موفق في نظرته الى الحيل التي تضاف الى الشرع الاسلامي وهو منها براء ولن يزال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المجمع العلمي بخير وهو يكل الامور الى اربابها . وأحب ان ألفت الناشر وغيره من الذين لم يكتب لهم الوقوف التام على الثقة الثبت من مراجع الاسلام الى مناقشات الامام ابن القيم لأصحاب الحيل في كتابه اعلام الموقعين فانها أوسع ما كتبه علماء الاسلام في إبطال الحيل تمتاز باسلوبها العلمي الدقيق وايراد الحيل واحدة واحدة ونقضها بالدليل النقلي والبرهان العقلي في أناة وهدوء وانسجام . وفي رأيي ان هذه الحيل من وضع الشعوبية الذين هاموا لهدم الاسلام في كل واد ونفذوا اليه من كل سبيل ، ولا اكثر شراً على الاسلام من فتح هذه الثغرة التي فتحوها ووقع فيها من وقع من بسطاء المتفقهة . ألفت نظر الناشر وغيره الى كتاب الامام ابن القيم وأريد العلامة المغربي على ان يوافقني على ان تسميته الامام محمد كتابه - اذا صحت نسبته اليه — (كتاب المخارج في الحيل) ليست من الاحسان في شيء لان علينا أن نلاحظ المسمى قبل اسمه وننزه الحق من الباطل ولو مسه الباطل اسماً او وهماً وخيالاً ، اما قوله « لو سماه كتاب المخارج في المحارج اي في المضايق والمآزق لكان اكثر احساناً لعمري » فاني لخجل جداً ان اقول في التعليق عليه : ان اصحاب الحيل لما رأوا نفرة الناس من اسم الحيل سموه (وجوه المخارج من المضايق) — انظر اعلام الموقعين م ٣ ص ١٥٧ ط ا — .

وفي ص ٢٠٢ (وهو كناني : قيل صلبيه ، وقيل مولى) هكذا ورد صلبيه بالباء الموحدة فالياء المثناة ، ومثله في ترجمة الجاحظ التي نشرها المستشرق ف . كرنكو في مجلة المجمع العلمي العربي م٩ ص٢٠٣—٢١٧ نقلاً عن تاريخ ابن عساكر من نسخة المتحف البريطاني . وهو تحريف عن صلبية بتقديم المثناة على الموحدة كما ترد كثيراً في كتب الانساب والتراجم وصفاً للرجل الذي كان عربياً نسباً لا ولاء ولاحلفاً ، وان شئت راجعتها في الاغاني في نسب الحزين ووالبة بن الحباب ومحمد بن وهيب ومحمد بن ذؤيب وغيرهم . ومن الغريب ان هذه الكلمة على شيوعها في كتب الانساب والتراجم لم تأت في كتب اللغة وصفاً للمذكر بحرف التأنيث ، وانما قالوا : رجل صليب وامرأة صلبية ، ففي اساس البلاغة « ومن المجاز عربي صليب : خالص النسب ، قال أمية : (ويعرفنا ذو رأيها وصليبها) وامرأة صلبية كريمة المنصب عريقة » اه .

وجاء في الكلام على الجاحظ ص٢٠٤ (وكان يقال له ايضاً الحاقي) والصواب الحدقي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كما في وفيات الأعيان م ١ ص٣٨٨ ومعجم الادباء م ٦ ص ٦٢ . ولعل الجاحظ هو الذي أطلق على نفسه هذا اللقب استدراكاً على غلط غلام عجمي حرفت رطانة الجاحظ الى الجاحد فقال له قل الحدقي فقال الحلقي في قصة ذكرها ياقوت الحموي البغدادي في معجم الادباء وهي : ان الجاحظ صار الى منزل بعض إخوانه ، فاستأذن عليه ، فخرج اليه غلام عجمي فقال : من انت ؟ قال : الجاحظ . فدخل الى صاحب الدار فقال : الجاحد على الباب ، وسمعها الجاحظ فقال صاحب الدار للغلام : أخرج فانظر من الرجل ؟ فخرج يستخبر عن اسمه ، فقال : انا الحدقي ، فدخل الغلام فقال : الحلقي ! وسمعها الجاحظ فصاح به في الباب : ردنا الى الاول ! يريد ان قوله الجاحد مكان الجاحظ اسهل عليه من الحلقي مكان الحدقي ، فعرفه الرجل فأوصله واعتذر اليه .

وفي ص ٢٠٦ (كتاب الزرع والنحل) وكذلك ورد في معجم الادباء ، ولعل الاصل «النخل» مكان «النحل» .

وفي ص ٢٠٧ الهزوء ، وصوابه الهزء اذا سكن الزاي ، والهزؤ بوضع الهمزة فوق الواو اذا ضم الزاي .

وفي ص٢٠٨ (... فقال الجاحظ : سألتني عن الجملة ...) وذلك في جواب رجل دخل عليه فقال له : يا اباعثمان كيف حالك ؟ وقد نبه الكاتب الى ان الاصل الذي اخذه منه «الجلة» وفي نسخة أخرى «المجلة» مكان «الجملة» . ورأيت مجلة المجمع العلمي م ٩ ص٧ ٣ تقول في التعليق عليه (ولعل صوابه : عن الحالة) فاجتمع عندنا اربع روايات وآراء في الكلمة : الجملة ، والجلة ، والمجلة ، والحالة . واني أوافق الكاتب على تصحيحه لأن سياق الكلام يؤيده وذلك قوله بعدُ (فاسمعها مني واحداً واحداً ...) فالسائل يسأل الجاحظ عن حاله جملةً والجاحظ يريد ان يسمعه اياها واحداً واحداً تفصيلاً ، فهل يصح في هذا الموضع غير كلمة الجملة ؟

وفي ص ٢٠٥ كتابة الرئاسة بالهمز تارةً وبالياء أخرى ، فأيهما الصحيح اوالاصح ؟ اما الكتّاب —اليوم— فيميلون في الاكثر الى الثاني ، واني أصححه بالهمز لانه الأصل في الكلمة فلاوجه لهذا القلب .

وجاء في ص٢٠٩ (... ولكن الايام لاتصلح منك لفساد طويتك ...) وعلق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليها في الهامش ما يأتي : (في الاصل : لا تصلح منك الاّ لفساد طويتك ... فأظن ان «الاّ» زائدة فلا محل لها) . قلت : الذي أراه ولا أكاد أتردد فيه ان «الا» هنا ليست باداة استثناء فتكون زائدة وانما هي «إلاّ» بكسر الهمزة وتشديد اللام في موضع النصب على المفعولية ، ومعناها العهد والحلف ، ويؤيد هذا قول احمد بن ابي دواد للجاحظ لما جيء به اليه مقيداً : « والله ما عملتك الا مناسباً للنعمة ، كفوراً للصنيعة الخ » .

وفي ص ٢١٠ س ١ و ٢ (فوالله لئن يكون لك الامر ... ولئن أسيء) والصواب في الجملتين لأن . وفيها في س ٤ أما قلبك والصواب أمام قلبك ، وهو من غلط الطبع .

وفي ص ٢١٧ يذهب الكاتب الى ان الجاحظ الف كتابه الحيوان وهو مبتلى بالفالج مستنداً الى كلام الجاحظ في اول كتابه هذا « وقد صادف هذا الكتاب مني حالات تمنع من بلوغ الارادة فيه ، اول ذلك العلة الشديدة » وانا أستغرب كل الاستغراب ان نفسر هذه العلة الشديدة بالفالج دون غيره فان الفالج — كما شاهدناه — داء اذا أصاب الانسان عطل جسده نصفه او كله ، وأحال فكره ، وأبطل عمله . و يغلب عليه ان يرافق المبتلى به الى لحده ، لذلك أرى ان الجاحظ ألف هذا الكتاب الجليل قبل ان يمنى بالفالج وان هذه العلة التي يذكرها مرض عرض له في اثناء كتابته ثم زال و برئ واستمر يؤلفه حتى وفق لإكماله ، والا فليرشدني الاستاذ الكاتب كيف يستطيع ان يؤلف مثل هذا الكتاب بل دونه بكثير « من نصفه مفلوج لو حزّ بالمناشير ما شعر به ، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه ، وأشد من ذلك ست وتسعون سنة هو فيها » كما قال الجاحظ عن نفسه رحمه الله فيما حدث المبرّد ؟! ودليل آخر لنتيجته مبنية على مقدمات تاريخية نقلها الكاتب نفسه في محاضرته ، وهو ان الجاحظ الف كتاب الحيوان هذا لمحمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم فأعطاه خمسة آلاف دينار ، ومحمد هذا توفي سنة ٢٣٣ هـ ووفاة الجاحظ كانت سنة ٢٥٥ هـ ، فبين موتهما اثنتان وعشرون سنة ، اذا أضفنا اليها ثلاث سنوات سلخها في التأليف على اقل تقدير ، وذلك قبل موت الوزير صاحبه طبعاً ، حصل عندنا تمام ربع القرن . والاستاذ مؤمن بان الجاحظ يوم قبض المتوكل على محمد ابن عبد الملك الزيات والقاه في التنور خاف ان يكون فيه ثاني اثنين ، لأنه كان صاحب محمد وصديقه ، ولأنه كان منحرفاً عن احمد بن ابي دواد للمداوة بين محمد واحمد واحمد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا هو الذي أغرى المتوكل بابن الزيات فغرّ على وجهه لئلا يلحقه منه ما لحق صاحبه الوزير الا انه لم ينج منه بل قبض عليه فجيء به الى احمد بن ابي دواد فلما نظر اليه قال : والله ما علمتك إلا مناسباً للنعمة ... فاستلانه الجاحظ بتزويق كلامه حتى أمر بفك القيود عنه وأمر بان يصار به الى الحمام ويماط عنه الأذى ويحمل اليه تحت ثياب وطويلة وخف ، فلبس ذلك ثم أتاه فتصدر في مجلسه ثم أقبل عليه وقال : هات الآن حديثك يا اباعثمان في قصة طويلة نقلها الكاتب في محاضرته عن معجم الادباء ... فهل كان كل ذلك — وكل ذلك كان بعد تأليف كتاب الحيوان ولا شك ! — والجاحظ مفلوج . « ليس بطائل ، ذو شق مائل ، ولعاب سائل الخ » ؟! .

ورأيت في المجلة عدا ما تقدم أشياء أخرى ، منها في ص٢٢٧ س ٦ (عرى) جمع عروة والاصح[1] كتابتها بالالف لان أصلها واو ، وفيها في س١٩ (بتؤدة) بالهمزة فوق الواو ويجب(؟) ان تكون منفردة قائمة بنفسها . وفي ص٢٣٦ ولا يمكن مؤرخاً ان ينسى الخ . ولعل الافصح ان يقال : ولا يسع مؤرخاً ان ينسى وصاحب المقال من الذين يتقيّلون الفصيح . وفي ص٢٣٧ س١٢ أرى الارض تطوى الي — والصواب تطوى لي . وورد في كلمتنا عن كتاب واسطة السلوك من أغلاط الطبع ص٢٤٩ اما الطبعة التونسية وهي والصواب فهي . وفيها ايضاً س ٢٦ سطر صوابه سطراً . وفي ص٢٥٠ س١٤ وانما هو موسى والاصل : وأنه هو موسى . وفيها س ١٦ موسى بن حمو — والاصل موسى أبو حمو .

والنيت أحد الاعضاء في ١٨٢ يستعمل المديون بدل المدين ، وعهدي به أنه جد حريص على اتباع القياس لا يميل الى ما فيه تجوز وتسامح ، وفي الطرة على الغرة للحريري والألوسي بحث في هذا نغني الاشارة اليه عن نقله ، فليراجع في ص ٣٨٥ .

بغداد : محمد بهجة الاثري

---

(١) «المجمع» بل الاصح ان تكتب بالواو بناء على قاعدة الكوفيين كما كتبوا الضحى والخُطى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net